

يقول مالك بن دينار عن نفسه:



بدأت حياتي ضائعاً سكيراً عاصياً .. أظلم الناس وأكل الحقوق، أكل الربا، أضرب الناس، أفعل المظالم، لا توجد معصية إلا وارتكبتها، شديد الفجور يتحاشاني الناس من معصيتي .

في يوم من الأيام اشتقت أن أتزوج ويكون عندي طفلة فتزوجت وأنجبت طفلة سميتها **فاطمة**، أحببتها حباً شديداً، وكلما كبرت فاطمة زاد الإيمان في قلبي وقلت المعصية في قلبي، وكَرِهْتُما رأيتني فاطمة أمسك كأساً من الخمر فاقتربت مني فأزاحته وهي لم تكمل السنتين .. وكأن الله يجعلها تفعل ذلك، وكلما كبرت فاطمة كلما زاد الإيمان في قلبي .. وكلما اقتربت من الله خطوة كلما ابتعدت شيئاً فشيئاً عن المعاصي، حتى اكتمل سن فاطمة 3 سنوات، فلما أكملت الـ 3 سنوات ماتت فاطمة،

فانقلبت أسوأ مما كنت، ولم يكن عندي من الصبر الذي عند المؤمنين ما يقويني على البلاء، فعدت أسوأ مما كنت وتلاعب بي الشيطان حتى جاء يوم فقال لي شيطاني : لَتَسْكُرَنَّ اليوم سكرة ما سكرت مثلها من قبل!! فعزمت أن أسكر وعزمت أن أشرب الخمر، وظللت طوال الليل أشرب وأشرب وأشرب فرأيتني تتقاذفني الأحلام .. حتى رأيت تلك الرؤيا

رأيتني يوم القيامة وقد أظلمت الشمس .. وتحولت البحار إلى نار.. وزلزلت الأرض ... واجتمع الناس إلى يوم القيامة والناس أفواج وأفواج وأنا بين الناس، وأسمع المنادي ينادي فلان ابن فلان هلم للعرض على الجبار. فأرى فلانا هذا وقد تحول وجهه إلى سواد شديد من شدة الخوف، حتى سمعت المنادي ينادي باسمي .. هلم للعرض على الجبار، فاخترني البشر من حولي (هذا في الرؤيا)، وكأن لا أحد في أرض المحشر، ثم رأيت شعباناً عظيماً شديداً قويا يجري نحوي فاتحاً فمه. فجريت أنا من شدة الخوف، فوجدت رجلاً عجوزاً ضعيفاً فقلت : آه، أنقذني من هذا الشعبان، فقال لي: يا بني أنا ضعيف لا أستطيع ولكن اجْرُ في هذه الناحية لعلك تنجو، فجريت حيث أشار لي، والشعبان خلفي، ووجدت النار تلتقاء وجهي، فقلت: أهرب من الشعبان لأسقط في النار، فعدت مسرعاً أجري والشعبان يقترب، فعدت للرجل الضعيف وقلت له: بالله عليك أنجذني أنقذني .. فبكى رافة بحالي وقال: أنا ضعيف كما ترى لا أستطيع فعل شيء ولكن اجْر تجاه ذلك الجبل لعلك تنجو، فجريت للجبل والشعبان سيخطفني، فرأيت على الجبل أطفالاً صغاراً فسمعت الأطفال كلهم يصرخون: يا فاطمة أدركي أباك أدركي أباك، فعلمت أنها ابنتي، ففرحت أن لي ابنة ماتت وعمرها 3 سنوات تنجذني من ذلك الموقف، فأخذتني بيدها اليمنى ودفعت الشعبان بيدها اليسرى وأنا كالصبي من شدة الخوف، ثم جلست في حجرني كما كانت تجلس في الدنيا، وقالت لي: يا أبت ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ فقلت: يا بني .. أخبريني عن هذا الشعبان!! قالت: هذا عملك السيئ أنت كبرته ونميته حتى كاد أن يأكلك .. أما عرفت يا أباي أن الأعمال في الدنيا تعود مجسمة يوم القيامة..؟ قلت: وذلك الرجل الضعيف؟ قالت: ذلك العمل الصالح .. أنت أضعفته وأوهنته حتى بكى لحالك لا يستطيع أن يفعل لحالك شيئاً ولولا أنك أنجبتني ولولا أنني مت صغيرة ما كان هناك شيء ينفعك.

فاستيقظت من نومي وأنا أصرخ: قد آن يا رب.. قد آن يا رب، نعم ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، يقول: واغتسلت وخرجت لصلاة الفجر أريد التوبة والعودة إلى الله، دخلت المسجد فإذا بالامام يقرأ نفس الآية: (ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله).



من كتاب التوابين لابن الجوزي